النص الروائي بين المفارقة الزمنية واليوتوبيا

دراسة في رواية (رحلة في ضباب الأيام) للكاتب صباح السامرائي

.....

م. م. عماد بشير الجيرو

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل

الملخص

إنّ اليوتوبيات عموماً تقوم على فكرة بناء عالم خيالي ولاوجود له إلّا ضمن قوانين خاصة وظروف استثنائية، قد تكون خارجة أحياناً عمّا يمكن تفسيره ضمن نواميس الطبيعة، وهذا ما يجمعها بالغرائبية والعجائبية، ويجعلها تنطوي تحتهما، فاليوتوبيا تتأسس على واقع بعيد متخيل.

يحاول الكاتب صباح السامرائي في رواية (رحلة في ضباب الأيام) بناء مدينة فاضلة، ذات مرجعيات سايكولوجية، إذ يتيه الكاتب في مدينة يغلب عليها الحياة الإسلامية البسيطة، فضلاً عن المفارقة الزمنية التي وجدها فيها، فأهلها هناك يعيشون في عام ٣٠١٧، بينما يكون الكاتب قادماً من العراق في عام٢٠١٧. وتبرز المرجعيات الدينية والصوفية للكاتب، التي تؤكد الغاية الرئيسة من كتابة الرواية، فهو المشتاق إلى زمن الصحابة وعودة الإسلام إلى سابق عهده في العبادات والمعاملات.

إنّ اشتغال الكاتب على المفارقة الزمنية واليوتوبيا في الرواية والتي تشغل حيزاً كبيراً يعزّ على أي كاتب أن يملأه بالبناء السردي الذي يحتاج إلى قدر كبير من الموهبة والخيال.

Abstract

Basically, The utopias are based on the idea of building a fictional world and exist only within special laws and exceptional circumstances, which may sometimes strange from what can be explained within the laws of nature. This is what they combine with the strange and the miraculous.

In the novel "A Journey in the Mist of the Days," the author tries to build a virtuous city with psychological references. whereas the author suffers in a city dominated by the simple Islamic life, as well as the paradox that he been found there. The people there live in 3017,while the writer is coming from Iraq in 2017. The religious and mystical references of the writer, which emphasizes the main purpose of writing the novel, is the longing for the time of the Companions and the return of Islam to its predecessor in the acts of worship and transactions.

The athour's preoccupation with the paradox of time and utopia in the novel, which occupies a large space that any writer should fill it with narrative construction, which requires a great deal of talent and imagination.

الدراسة:

إنّ البنية السردية في الخطاب الروائي للكاتب صباح السامرائي تتحقق في نمط السرد المتقدم الذي يملأ الحيز الروائي بأخبار عن أحداث تقع في المستقبل، وهي لمّا تزل في باب المغيب والمحجوب، فيكون الروائي بهذا النوع قد دخل عالماً من المفروض أنّه مستعص، وبدد بعض الغموض الناتج عن الحيرة والدهشة التي يشعر بها المتلقي[١]. في الرواية يقول القاضي:(أمّا عن كوننا نعيش في عام ٣٠١٧ فهذا أمر لا جدال فيه، وأمّا عن كونك آتياً من وراء الزمن فهذا يصعب تصديقه، ولمّا كنّا نعلم من كتاب ربنا أنّ أهل الكهف قد بُعثوا بعد مئات السنين، وكذلك الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، فعلينا أن نتدارس الأمر، فدابتك هذه دليل على أمر غريب) [٢].

أشار دانتشيز إلى طريقة (المونتاج الزمني) في تقديم المونتاج القصصي، وهو أن يظل الشخص ثابتاً في المكان على حين يتحرك وعيه في الزمان، أي وضع صور وأفكار من زمن معين على صور أو أفكار من زمن آخر[٣]. (فنظرت إلى حسحسات القوم فقلت بطريقة مباشرة مقصودة: نعم أنا قادم من الماضي وبحسب ما تذكرونه من كونكم تعيشون اليوم في سنة ٣٠١٧، فأني قادم من ألف سنة ماضية وتحديداً من عام ٢٠١٧) [٤].

ومن مظاهر العجائبية في الحدث خرق التسلسل الزمني المعروف في الرواية التقليدية وفي الطبيعة، إذ يتيه الكاتب في مدينة يغلب عليها الحياة الإسلامية البسيطة، وما اكتشفه من دهشة أهل تلك المدينة من هيئته ومركبته وكذلك نمط حياتهم والمفارقة الزمنية التي اكتشفها، فهم أناس يعيشون في عام ٣٠١٧م بينما هو قادم من العراق في هذه الرحلة من عام٢٠١٧ م. وفي حواره مع شيخ المدينة، (الشيخ: من أنت ؟، أنا: ابو اسامة، الشيخ: من أيّ البلاد أنت، أنا من العراق.... الشيخ: يا بني أنت تستعمل دابة لاوجود لها في عالمنا وتلبس ملابس غريبة)[٥]. ويقول في موضع آخر (واستطردت قائلاً نحن في سنة ٢٠١٧... فأعاد الشيخ عليّ بقوله كم كم؟ في أي سنة نحن !، عدت الجواب نفسه... فهاجت القاعة بأصوات وأحاديث متداخلة بين ضاحك ومشمئز ومستهزيء... فقال الشيخ: نحن في عام ٣٠١٧ وربما أخطأت بالرقم فأنت تتحدث عن تاريخ قبل الف سنة) [٦].

إنّ البحث عن الفردوس والسعادة المطلقة والحياة المثالية الهدف الدائم من ظهور أدب اليوتوبيا عبر تاريخ الأدب الإنساني، اليوتوبيا في أكثر الأحيان هي خطط ومشروعات لمجتمع تعمل بشكل آلي ومؤسسات تصوّرها اقتصاديون وسياسيون وأخلاقيون لكنها كذلك كانت الأحلام الحية للشعراء،

واليوتوبيا هي حلم الإنسان بالمكان المثالي، ولعله حلمه الأزلي منذ خرج من الجنة. ولعل افلاطون هو أوّل من استدعى اليوتوبيا من العالم الآخر إلى دنيانا في جمهوريته، وتأثر به الفارابي في (آراء أهل المدينة).

تقوم اليوتوبيات على فكرة بناء عالم متخيل لاوجود له إلّا ضمن قوانين خاصة وظروف استثنائية، قد تكون خارقة أحياناً عمّا يمكن تفسيره ضمن نواميس الطبيعة، وهذا ما يجمعها بالغرائبية والعجائبية ويجعلها تنطوي تحتهما، فاليوتوبيا تتأسس على واقع بعيد متخيّل(٧).

يحاول الكاتب صباح السامرائي في روايته (رحلة في ضباب الأيام) بناء مدينة يوتوباوية فاضلة ذات مرجعيات سايكولوجية، ويتخذ الكاتب المخيلة والذاكرة واللاوعي وأحلامه المكبوتة مادة سردية لروايته، فهو منذ البداية يصنع المفارقة العجائبية لنفسه، إذ يفترض أنّه قد سافر إلى مدينة تعيش في عام ٣٠١٧ م، بينما يتوغل الكاتب في عصور قديمة مبتعداً عن واقعه المعاصر، ويهيء للقاريء مصطلحات توحي بنيته الانتقال إلى أجواء زمكانية متباينة، يقول: (دابتي اللاندكروز دابة ليست ككل الدواب وعلفها مختلف أيضاً) (٨). بينما يعمد الكاتب في رحلته المزعومة إلى مدينة عمّان الأردنية إلى تصوير أجواء فوطبيعية: (وصلت منطقة يقال لها (طريبيل) أو أحسبني هكذا، فتوقفت هناك وأخرجت جواز سفري ورزمة أوراق تخص الدابة وقد تأبطتها ماشياً نحو سقيفة من سعف نخيل قد تهرأ من وهج شمس تموز. وجدت فيها راعي أغنام سلمت عليه وسألته: أين النقطة الحدودية ؟؟وأين تحولت؟؟. فقال لي: أيها الغريب عن أي شيء تسأل ؟. وماذا تعني بالنقطة الحدودية ؟، فقلت: من أين اتجه إلى الأردن ؟. الراعي: اتجه غرباً، فقلت: ولكن أين حدود الأردن ؟؟، فهزّ رأسه ومضى نحو سقيفة وهو يحوقل...، ركبت دابتي وشغلت تكييف الهواء وأخرجت رأسي من زجاجها وقلت ياعم أتريد توصيلة ؟، فقال: اذهب أيها المجنون، ثم رحت أبحث عن الطريق المعبد ولم أجد سوى أرض لا اسفلت فيها ولا أرصفة... ثم زادت حيرتي فهل أنا في حلم)(٩). وفي موضع آخر،(فقلت: هل تعني أنّنا في المدينة الفاضلة التي تحدث عنها افلاطون ؟؟)(١٠). ويقول (انا: ولكن يا شيخ أراك تحدثني عن مدينة فاضلة وكأنّها في الأحلام) (١١).

وقد وظف الأدباء اليوتوبيا لطرح ايديولوجياتهم من أجل تصحيح الأخطاء الاجتماعية والتاريخية في الواقع الراهن كما يرونها، لذلك نرى أنّ كاتب اليوتوبيا هو كاتب أخلاقي بالضرورة، لأنّه يعالج مسائل الواقع بنمط من التخييل المجازي الذي يُعيد صياغة البنى المعرفية للواقع والمجتمع(١٢). والشخصية لديه هي شخصية مأزومة تحمل وعياً ورغبة في التغيير، إذ يرى الكاتب العالم من خلال منظوره الفردي، وتتميز هذه الرؤى بأنّها رؤى حلمية تلجأ إليها الشخصية لتحقيق رغباتها المكبوتة أحياناً(١٣). ورواية (رحلة في ضباب الأيام) في اقترابها من الحياة المثالية في المدينة الفاضلة التي يقدمها الكاتب، إنّما تكشف عن

طموحات الكاتب ومرجعياته الأخلاقية والدينية، فهو ينتقد الواقع العربي المفكك، ضمن الرواية خلال حديث شيخ المدينة للوالي، (الشيخ: ولكن يا سيادة الوالي نحن ليس لنا أعداء، ومن هذا الذي يتجشم عناء الوصول إلينا فكما تعلم أنّ أقرب بلدة عنا هي عمّان ثم دمشق وكلاهما تربطنا بهم صلة ومصاهرة وهكذا سائر المدن والأمصار ولم نعهد عداء بين المدن منذ فتحنا عيوننا على هذه الدنيا) [١٤]. كما أنّ قاضي المدينة ليس لديه ما يشغله فلا مخاصمات ولا مشاكل، فكل الناس تعرف حقوقها [١٥].

لقد صوّر الكاتب معاناته النفسية وألمه أثر ضياع الإنسان العربي، (لكني بذات الوقت استذكر كل المتجبرين الذين ملأوا الدنيا ضجيجاً، وأذكر كل المفاخرين بتطاول البنيان، استذكر الذين استفحل اجرامهم بكرامة الإنسان، أين هم اليوم وأين ديارهم ؟، أين الباغون على العباد؟... أين من سادوا؟... أين من طغوا ؟، أين الرؤساء والزعماء والملوك والأمراء؟؟، أين التيجان؟ وأين الهيلمان؟....وأين وأين وأين؟؟) [١٦].

ترتكز رواية السامرائي على غايات اخلاقية واصلاحية، يتحدث عن السلطة والعدالة عند وصفه بيت الوالي، (فقلت ممازحاً يا سيادة الوالي بيتك دال على عدالتك، ولكن لو كنت في زماننا لكان منزلك يعدل مساحة بيتك هذا بمائة مرة ولكان الخدم والحشم فيلقاً، ولكان النفاق في مثل هذه المناسبات لا تجد له مكاناً يحويه... فقال الوالي:رضينا بلقمة الحلال ومنزل الحلال وملبس الحلال، كأنّه بتلك الكلمات أصابني في مقتل ورحت أردد نعم نعم نعم)[١٧].

تبرز الثقافة الدينية للكاتب التي أكدت الغاية الرئيسة من كتابة الرواية، فهو المشتاق إلى زمن الصحابة، والمتأمل في عودة الإسلام إلى سابق عهده سواء في العبادات أو المعاملات، (فهل أنا قفزت ألف سنة أم عدت إلى زمن الصحابة الأول... تهت في تفكير عميق وشعرت أنّ زماننا كان ذروة الابتعاد عن سبيل الله، فأعاد الله إلى الدين سيرته الأولى...) [١٨]. ولا غرابة في هذا التوجه فهو استاذ النحو القرآني والقراءات القرآنية، وهو ما صرح به الكاتب على غلاف روايته، ثم اتبعه توضيحاً خلال باقي صفحاتها عند ذكر كتبه المطبوعة، وهو يدعو إلى العودة إلى فطرة الله عزّ وجل، (لقد بلغ الناس في زمني مبلغاً من الجبروت والنزق والابتعاد عن فطرة الله حتى طاولوا رب السماوات بتعاليهم وتجبرهم حتى أحال ما كانوا عليه إلى ركام مسحت الأيام حتى ذكرهم وذكره...) [١٩]. و(بالمجمل فقد عانى البشر كثيراً بسبب ابتعادهم عن فطرة الله التي فطر الناس عليها) [٢٠].

تظهر اليوتوبيات أو المدن الفاضلة على سطح الواقع الفكري، كلما ازداد ضغط الواقع وأضحى التعبير صعباً، وقد وجدت مدن وجمهوريات فاضلة على امتداد التاريخ، إذ لجأ المفكرون إلى إبداع مدن فاضلة

ومجتمعات طوباوية، لعلهم يجدون فيها لأنفسهم ملجأً أو متنفساً من ضغط الواقع الاجتماعي المعاش، لذلك لن تتوقف اليوتوبيا عن الظهور على مسرح الحياة، مادام الحلم كامن ومتجذر في النفس البشرية[٢١].وهنا يلجأ السامرائي في روايته إلى السرد العجائبي بهدف تمرير الانتقادات السياسية والاجتماعية (فنظرت إلى الدولارات التي يقتل الأخ أخاه من أجلها ويبيع الإنسان أرضه وشرفه من اجلها ويخون وطنه ويدنس تاريخه من أجل حفنة أوراق لا قيمة لها بكل المقاييس ؟؟؟!!!!)[٢٢]. ويختم الكاتب رسالته الدعوية الإصلاحية إلى جميع فئات الشعب (عودوا لآدميتكم فلن تجدوا ضبعاً يقتل ضبعاً بسبب أوراق مالية خضراء كانت أم حمراء... أبلغ الفقراء بأن اعتصامهم لا بد أن يكون برب السماء... أبلغ أهل القصور العالية بأن مآلاتهم دانية، أبلغ المتاجرين بكرامة الدم أنّ مصيرهم الندم....وأنّهم ما بقي لهم من ذكر عند الأمم، أبلغ الرؤساء والزعماء والأمراء والأغنياء بأن يفيقوا من سباتهم... بلغ عباد أمريكا بأنها أكذوبة... بلغ النساء الكاسيات العاريات أنّ القبر لا يستحي الدود فيه أن يأكل أكفانهن... بلغ الراقصين والراقصات، العابثين والعابثات، المطربين والمطربات أنّ حتى عجب الذنب منهم لم نعرف له سبيلاً... بلغ...، بلغ من باع فلسطين بأنّا أصبحت بلاد القدس... بلغ امريكا بأنّها أثر بعد عين....) [٢٣].

إنّ التداخل في النص الروائي أفاد من رصد أنواع الثقافات التي يمتلكها الكاتب، فضلاً عن أساليب الكتابة المتنوعة، هنالك صياغة النص وتشكيله بمفردات مرجعية بعد استحضار االموروث والتحليق بفضاءاته، إذ أخذ أكثر الكتّاب ينهلون من آفاق الموروث الرحبة أنواعاً من النصوص المعرفية والصوفية والأنثربولوجية[٢٤].

استعان الروائي صباح السامرائي بالمرجعيات بوصفها منجزاً حضارياً وابداعياً، إذ يعيد الموروث عبر منظور عصري، ويصوغه بأبعاد فكرية يؤمن بها، يقول في ذكره لمعركة مؤتة، (انا: هذه أرض المعركة أبقى الله ذكرها إلى يوم القيامة لأنّها أول معركة ضربت أعتى قوة للكفر في التاريخ) [٢٥]. وخلال حديثه عن البحر الميت يقول: (فكما تعلم أنّ البحر الميت يعد أخفض بقعة على وجه الأرض ولذا قال الله تعالى ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢٦]... ولذلك يكون الجو هنا صعباً) [٢٧].

نجد في هذه الرواية متناصاً تاريخياً، فالرواية تفكك شيئاً من التراث الديني الإسلامي، وتقوم بتركيبه مرة أخرى وصولاً إلى اسقاطات ودلالات خاصة، والكاتب ليس معنياً بشكل أو بآخر بنقل قصص الدين، ولكنه معني بالاستفادة منها وبناء هيكل قصصي جديد يتمتع بالمرونة التي تسمح له بالسياحة في عالم الدلالات والرموز[٢٨]. فالكاتب يوظف معلومات وأحداث تاريخية في سياق الرواية بشكل قد يكون

مبالغاً فيه أحياناً حتى ليطغى على الجانب الخيالي والإبداعي، (هذا جبل نيبو وهو الكثيب الأحمر الذي ذكره رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) وفيه قبر موسى وقد كان هنا كنيسة مقامة على هذا الجبل وكانت تتألف من مكان للمعمودية وعدد من الغرف، ويُذكر أنّها كانت كنيسة صغيرة إلّا أنّها شهدت توسعاً في أواخر القرن الخامس الميلادي إلى أن ضربها زلزال في أواخر القرن السادس الميلادي فتهدمت، ثم تم إعادة بنائها عام ٥٩٧م) [٢٩].

ثم يذكر الكاتب مدينة مأدبا وبعد تفسيره المعجمي لكلمة (مأدبا) يقول:(إنّها مدينة تاريخية موغلة في القدم، بناها المؤابيون، وتعاقبت عليها أمم وحضارات كثيرة متنوعة، مثل الأموريين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وعملوا على احراقها والعمونيين (١٥٦ق.م) ثم حكمها الأنباط طيلة الفترة البيزنطينية، ثم فتحها المسلمون عام ٦٣٦ م بعد معركة اليرموك)[٣٠]. ويستمر الكاتب في سرده للأحداث التاريخية، وفي الفصل السابع عشر من الرواية يقول: (أمّا سنة ١٩٦٩ حدث أكثر من شيء مثل حرق المسجد الأقصى ووفاة الملك سعود بن عبدالعزيز،اعلان امريكا الهبوط على سطح القمر لأول مرة في التاريخ....) [٣١].

أمّا عن رأيه في حرية المرأة على لسان إحدى شخصياته، (نحن هنا كما تعلم وكما رأيت نعطي حرية للمرأة بمزاولة العمل الذي يناسبها لكن النساء عادة ما يتجنبن الأسواق لعدم الحاجة لذلك، لذا فمنهن اللواتي يعطين الدروس في الغرف الملحقة بالمساجد فلهن غرفهن الخاصة ويتعلم بنات القلعة على أيديهن، فأمّا هن فيتعلمن على يد الشيوخ في شتى العلوم لكن بالذات علوم التاريخ والأدب فضلاً عن الفقه والشريعة وما إلى ذلك....) [٣٢].

وممّا يعضد قولنا بمرجعياته الإسلامية والصوفية على وجه الخصوص أبياته التي أنشدها في مدح الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، والتي بلغت عشرون بيتاً افتتحها بقوله:

تضوع المسك بين الشام والحرم ... وأشرق النور يزهو في ذرى القمم
وأطرق البرق في الآفاق من خجل ... إذ أقبل الروح يحدو موكب الكرم
أرخى الأمين ستار العطف يمنحه ... دفء المحب يحاكي خفة النّسم
أهدى الأمين أمين الله دعوته ... فلا المجيب ولا الداعي بمتهم
دانت له في ربوع القدس مملكة ... أبناؤها الأنبيا فالعز لم يضم
تفرد المصطفى سيراً بحضرته ... فهام يمدحه والمدح لم يهم[٣٣].

تعيش الشخصيات الواقعية أو الطبيعية جنباً إلى جنب الشخصية العجائبية، لتدعم الفعل العجائبي وتعطيه شرعية واقعية أمام القاريء، وكذلك الفعل الواقعي أو الطبيعي أيضاً يدعم الفعل العجائبي ويجعله يتحرك بحرية(٣٤). ويوهمنا الراوي بأنّ ما يقوم به هو حقيقة، وهذه خصيصة من خصائص العجائبي، يقول الراوي: (لا أعلم عدد المرات التي أصارع فيها نفسي لإثبات أنّي في حلم أم حقيقة) (٣٥). و(من يتحمل بليلة وضحاها أن يجد نفسه قد فارق الأهل والأصحاب، وكل ما نشأ عليه منذ ولادته إلى يومنا هذا، ويجد نفسه في عالم آخر مع أناس آخرين لا يعرف أحداً منهم، وفي بيئة لا يدرك فيها شيئاً، ويكون غريباً تتخوف الناس منه ؟ إنّ الأمر جد عظيم) (٣٦). فهو يبدأ رحلته بذكر أماكن ومدن واقعية: (الأنبار، طريبيل، الكرك، البحر الميت، القدس، جامعة سامراء....)، ويقتطع أجزاء من حياته الشخصية، (صور وصور أقلبها لأصدقاء كانوا وكنا وكانت الدنيا مملوءة بهم... قافلة من الأسماء والأسماء ممن عشت ونشأت بينهم، منهم من فارقنا مبكراً ومنهم من تركته قبل أيام لكنها باتت قروناً... ثم ابتسمت ابتسامة واسعة وقلت من فارقنا هناك أقول بعده (رحمه الله) منهم أشقائي حسن وحسين رحمهما الله... فماذا أقول لتأريخ عريض من الأسماء والأصحاب ؟؟؟... ثم المساجد، وحلق تحفيظ القرآن فكأني أنظر إلى أخي الشهيد حسين ابي عبدالرحمن وهو مسرور بتحفيظ الناس القرآن، وإمامته لهم في صلاة التراويح في جامع الزبير مع الحاج عبدالكريم رحمهم الله....تعالوا يا كلّ من جالستهم وكل من حادثتهم، أين أنتم؟ تعالوا جميعاً وانظروا... يقولون إنّ جميعكم اخوة وأصدقاء وأقارب بتم أثراً بعد عين... وبين هذا وذاك تاه علي: أأنتم كنتم حلماً، أم أنّي أتيه في أحلام اليوم... وقد حصلت على درجة بروف في جامعة سامراء... كنت هناك في اسطنبول حيث جامعة السلطان محمد الفاتح حيث أحمد توران وأنمار وعلي بولوط وصلاح شيرزاد وغيرهم. ثم نينوى حيث القلوب تنفرد بالحديث: منتصر الغضنفري وأمين الحبار وغيرهم كثيييير.... أمّا أنا فروحي هناك... هناك حيث بغداد، هناك حيث سامراء، حيث دجلة والفرات....) (٣٧).

والالتفات من الظواهر الأسلوبية التي استخدمها السامرائي في روايته،وهو أسلوب يدل على تفنن المبدع وقدرته على التحكم في اللغة، كما أنّ فيه عنصر جذب وتشويق للسامع، يقول الزمخشري في الالتفات، وذلك على عادة افتنانهم ـ أدباء العرب ـ في الكلام وتصرفهم فيه، لأنّ الكلام إذا انتقل من اسلوب إلى اسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، والالتفات يؤثر في السامع فيحثه على المتابعة والتفكير والربط بالعودة إلى أول التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التغير والانتقال من أسلوب إلى آخر(٣٨).

يستخدم الكاتب في رواية (رحلة في ضباب الأيام) اسلوب الالتفات وبشكل يفاجئ القاريء، إذ يتكلم على طول الرواية بضمير المتكلم (انا)، بينما ينتقل في نهاية الرواية ليكون سرده بضمير الغائب، يقول الراوي: (هنااااااااك يجلس شيخ في مكتبته التي أعاد تأسيسها من جديد وهو منهمك بكتابة أوراق يعتني بها أشد الاعتناء.....) [٣٩]، ثم (يجلس مع عائلته جلسة ملؤها السرور ثم يقول لهم.... يا أبنائي لقد جمعتكم لأنّي نويت القيام برحلة لعلها الأخيرة أو لعلها الأولى... لا أعلم فقد اختلط عليّ الزمان وتداخلت في مكنونات الأحداث)[٤٠]. وبعد أن كان المشهد الأول في الرواية بضمير الـ(أنا)، ينتقل الكاتب إلى مشهد مطابق له في نهاية الرواية ولكن بضمير الغائب، إذ يستعيض الكاتب الـ(أنا) ب (الشيخ)، (الشيخ يتقدم خطوات إلى الرجل ويقول له: في أي عام أنت ؟ الرجل مستغرباً من السؤال ويقول: نحن في سنة ٢٠١٨، الشيخ يهز رأسه وهو يردد بصوت خافت: سنة واحدة ليس بالكثير... ثم توجه للرجل وقال: حسناً يا بني سأرشدك إلى الطريق ولكن التزم بما أقوله لك فإن وعدتني بذلك أرشدك، الرجل: حسناً أعدك.، الشيخ: يا بني كنت قد أعددت هذه الرسالة وتوجهت أبحث عن قوم أعرفهم وألقيها عليهم أو على أطلالهم وآثارهم إن بقيت لهم آثار...)[٤١]. و(بقي الشيخ متكئاً على عكازه، ومن خلف شعر حواجبه الأبيض الكثّ يرقبُ ضباب الأيام)[٤٢]. كانت الغاية من هذا الالتفات هو عزم الكاتب التمويه على الواقعية التي احتوتها روايته، والاقتراب من الصور التخييلية التي رفد بها روايته.

الخاتمة

إنّ اشتغال الكاتب على المفارقة الزمنية واليوتوبيا في الرواية، التي تشغل حيزاً كبيراً يعزّ على أي كاتب أن يملأه بالبناء السردي الذي يحتاج إلى قدر أكبر من الموهبة والخيال، إذ يلعب الاستباق والتنبؤ دوراً مهماً في هذه الرواية، مثلت طموحات الكاتب ودوافعه الشخصية.

توافرت رواية (رحلة في ضباب الأيام) على رصيد كبير من التناصات الشعرية والأحاديث النبوية، فضلاً عن تأثره بالنماذج الخيالية المشهورة مثل المدينة الفاضلة، وقد استفاد الكاتب في خطابه الفني من تطويعه للتراث وتطوير علاقة استثمار ذلك التراث العربي والتعامل معه، مع حرصه على الارتباط بتاريخ القديم والحديث، مما أكسب الرواية خصوصيتها وهي تتناول هذه المحاور وما يتفرع منها من رؤية أو حلم والسخرية من الواقع.

استخدم الكاتب أسلوب الالتفات في الجزء الأخير من روايته لتشكيل عالم خاص مغاير ومفارق للعالم الواقعي في رغبة منه لإقناع القاريء بواقعية أحداثها.

مكتبة البحث

القرآن الكريم

١ ـ المصادر:

- رواية رحلة في ضباب الأيام، صباح السامرائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٨.
- السرد الغرائبي والعجائبي، د. سناء شعلان، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، ٢٠٠٣.
- شعرية الرواية الفانتاستيكية، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط، ط ١٩٩٧،١.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، د. سعيد علوش، بيروت، دار الكتاب اللبناني، دار البيضاء، ط ١٩٨٥،١.

٢ـ الدوريات:

- السرد وفنتازيا الواقع في سرديات ثامر معيوف، محمد جاسم جبارة، مجلة دراسات موصلية، مج ٧، ع ٢١، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠٠٨.
- مكونات السرد الفانتاستيكي، شعيب حليفي، مجلة فصول، مج ١٢، ع ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

٣ـ الرسائل الجامعية:

- دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبدالرحمن، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦.
- العجائبية في الرواية العربية من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠، فاطمة بدر حسين، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

٤ـ البحوث المنشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

- اليوتوبيا في ضوء جدل العلاقة بين الممكن واللاممكن، د. زياد عبدالكريم النجم
- Mqqal. Com

الهوامش

(١) مكونات السرد الفانتاستيكي، شعيب حليفي، مجلة فصول، مج ١٢، ع١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ٦٨-٦٩.

(٢) رواية رحلة في ضباب الأيام، صباح السامرائي، ٥٧.

(٣) العجائبية في الرواية العربية من عام ١٩٧٠إلى نهاية عام ٢٠٠٠، فاطمة بدر حسين، اطروحة دكتوراه كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ٦٢.

(٤) رواية، رحلة في ضباب الأيام، ١١٠.

(٥) م. ن، ٢٠.

(٦) م. ن، ٢٤-٢٥.

(٧) السرد الغرائبي، سناء شعلان، ٦٠-٦١.

(٨) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٧.

(٩) م. ن، ٧.

(١٠) م. ن، ٣٧.

(١١) م. ن، ١٩٦.

(١٢) السرد وفنتازيا الواقع في سرديات ثامر معيوف، محمد جاسم جبارة، مجلة دراسات موصلية مج٧، ع٢١، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ٦٨.

(١٣) العجائبية في الرواية العربية من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠، فاطمة بدر حسين، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ٣٥.

(١٤) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٣٠.

(١٥) م. ن، ٦٧.

(١٦) م. ن، ١٤٥-١٤٦.

(١٧) م. ن، ١٦٩

(١٨) م. ن، ١٧٢.

(١٩) م. ن، ٢٣٣.

(٢٠) م. ن، ٣٢٦.

(٢١) اليوتوبيا في ضوء جدل العلاقة الممكن واللاممكن، د. زياد عبد الكريم النجم،

Mqqal.com.

(٢٢) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٢٦١.

(٢٣) م. ن، ٢٨٩- ٢٩١.

(٢٤) العجائبية في الرواية العربية من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠، فاطمة بدر حسين، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ١٤٤.

(٢٥) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٨٨.

(٢٦) القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: ٢-٣.

(٢٧) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٩٥.

(٢٨) السرد الغرائبي والعجائبي، ١٩٩.

(٢٩) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٩٨-٩٩.

(٣٠) م.ن، ١٠٠.

(٣١) م. ن، ١٩٣.

(٣٢) م. ن، ١٦٢.

(٣٣) م. ن، ١٥٠-١٥٣.

(٣٤) العجائبية في الرواية العربية من عام ١٩٧٠ إلى نهاية عام ٢٠٠٠، فاطمة بدر حسين، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ٤٧.

(٣٥) رواية، رحلة في ضباب الأيام، ٨٩.

(٣٦) م. ن، ١٢٤.

(٣٧) م. ن، ١٤١، ١٤٣.

(٣٨) دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبدالرحمن، رسالة ماجستير، جامعة النج الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦، ١٣٥.

(٣٩) رواية رحلة في ضباب الأيام، ٢٤٨.

(٤٠) م. ن، ٢٨٥.

(٤١) م. ن، ٢٨٨-٢٨٩.

(٤٢) م. ن، ٢٩٤.